

فى الأُزهر إلى الكثير من عوامل المعاناة والتدهور نتيجة الثورات والقلقل التى انتهت بجلاء الاحتلال الفرنسى عام ١٨٠١م ، وعودة البلاد مرة أخرى إلى الحكم العثمانى، وعاد الصراع بين المماليك والعثمانيين مرة أخرى ، بغرض السيطرة على البلاد، غير أن الشعب المصرى بزعامة العلماء والأعيان قد شكل ضغطا على الحكام العثمانيين ، لتعيين " محمد على " واليا على مصر عام ١٨٠٥م. (١)

وعلى الرغم من النهضة التى شهدتها البلاد فى عهد " محمد على " فى الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والتعليمية ، إلا أن نظرته للتعليم كانت ترتبط بالفرض النفعى ، فقد كان هدفه الأساسى اعداد الموظفين للأعمال الفنية والادارية فى الجيش والحكومة ، مما جعله يهتم بإنشاء المدارس الخصوصية والتوسع فيها، وشرع فى إنشاء المدارس التجهيزية ثم الابتدائية لينال التلاميذ قسطا خاصا من التعليم قبل التحاقهم بالمدارس الخصوصية ، ولعل هذه النظرة النفعية هى التى جعلت الحكومة تعتنى أكثر بالتعليم الخصوصية على حساب المرحلة الأولى من التعليم. (٢)

ويرى " أحمد عزت عبدالكريم " أن ارتباط التعليم بالفرض النفعى فى عهد محمد على كان سببا أساسيا فى اعراض الأهالى عن خدمات التعليم ، وعدم اقتناعهم بها - خصوصا فى القرى البعيدة عن مراكز الحكومة وإشرافها المباشر - ذلك لأن فكرة التعليم على هذا النحو قد ارتبطت فى تصورهم بالجندية ، التى تمثل فى أنهم - المصريين آنذاك البعد عن الأهل والديار بعدا قد يمتد مدى الحياة. (٣)

وظهر حرص " محمد على " على عدم نشر التعليم الحديث بين عامة الشعب، ويتضح ذلك من رسالته لابنه ابراهيم عام ١٨٢٦ : " فمن الواجب أن تتفعلوا فتكتفوا بتعليم القراءة والكتابة لعدد منهم وفى أعمال الرياسة ، غير مولعين بتعميم

(١) طبعة على على فرج : مرجع سابق ، ص ٢١-٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤، ٢٣ .

(٣) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم محمد على إلى أوائل حكم توفيق ، ج ١ ، مطبعة النصر ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٢٧ .

الراغبين فى المدارس المبرزة على سنها القديم قد جعلت فى قانونها الجديد التلامذة داخلية وخارجية ، وفرضت عليهم مبالغ فى مقابلة التعليم فوق طاقة الفقراء منهم ، وان قدر عليها أهل الثروة " . (١)

ويذكر " محمد حسين هيكل " أنه على الرغم من قصور خدمات التعليم فى هذه الحقبة عن تحقيق المأمول ، إلا أن مصر قد كسبت وعيا ملحوظا بجدوى التعليم وأهميته ، نتيجة ظهور قوى المثقفين الجدد ، العائدة من البعثات . (٢) وزيادة شعور الشعب بفوائد التعليم ، وأهميته فى تطوير حياتهم ، جعل الاقبال على التعليم يتزايد ، والأصوات تملو مطالبة بالمجانبة . (٣) وقد شكل ذلك ضغطا على الحكومة للاهتمام بالتعليم ، والتوسع فى فتح المدارس ، لمجاراة مطالب الناس ، وتجنبنا للقلقل والمشاكل ، إلا أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السيئة التى كانت تعاني منها البلاد آنذاك ، والتى انتهت بالاحتلال البريطانى ، قد أوقفت مشروعات الإصلاح فى كافة المجالات ومن بينها التعليم . وبطبيعة الحال كان لابد أن تتأثر السياسة التعليمية بفلسفة المستعمر الجديد ، والتى تشتق أهدافها أساسا من المبادئ التى تتفق وبقاءه فى مصر ، ما كان سببا فى انزواء جنوة الحماس لدى الناس ، وقلة الطلب على التعليم .

ولقد حرص الاستعمار على ألا يتجاوز الهدف من تعليم العامة بأية حال معرفة أوليات القراءة والكتابة . (٤) ذلك لأن مصالحه ، وعوامل استمرار وجوده وسيطرته تقتضى الاقتصار على تعليم سواد الشعب أوليات القراءة والكتابة فقط ، وتعليم عدد ضئيل منهم تعليما ثانويا ، وأقل من ذلك تعليما جامعيا ، وتتحدد هذه الأعداد فى ضوء حاجات

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج١ ، الهيئة

العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢٤ .

(٢) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، ج١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٤-١٥ .

(٣) الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) ، المجلد الأول ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، ص ٢٣١ .

(٤) P.W. Musgrave; "Sociology, History, and Education, (٤)
Methuem and Co. Ltd., London, 1970, P. 21.

المصالح الحكومية من الموظفين ، والحرى على أن يماغ التعليم على نحو يقتل الابتكار ، والعبادة ، والقدرة على تحمل المسئولية ، واستقلالية التفكير ، والروح الوطنية. (١)

وإذا كان التعليم يتعدى بأهدافه مجرد حصول الفرد على عمل إلى هدف أشمل يتضمن اعداده للمشاركة في بناء المجتمع ، فزيادة المعارف والمهارات والقدرات لدى الأفراد تعتبر من الوجهة الاقتصادية استثمارا فعلا في تطوير النظام الاقتصادي ، ومن الوجهة السياسية تعدد الأفراد للاسهام في رسم الخطط السياسية للمجتمع. (٢) ولذا كان طبيعيا أن يدرك نظام الاحتلال مدى خطورة تعليم العامة على مصالحه ، واستمرار وجوده ، وأن يتبع - سواء انحصر في الطبقة الاجتماعية الممثلة في الخديوى ووزرائه وحاشيته ، أو في قوى الاستعمار الأجنبي ذاتها - نظاما تعليميا من شأنه وأد صحوه الشعب للمطالبة بحقوقه ، والوقوف بينه وبين التعليم والعلم الصحيح ، الذى ينمى الوعى ، ويفتح العقل ، وعلى هذا الأساس عمل على ايجاد نوعين من التعليم . تعليم ابتدائى لقلّة من طبقات اجتماعية معينة ، وتعليم أولى هزيل المستوى لأبناء العامة .

وايجاد أنظمة تعليمية متباينة بهذا الشكل . يعمل على ايجاد نوع من التفرقة بين قطاعات المجتمع . نتيجة تقديمها تعليمًا متميزًا لأبناء الطبقة العليا . يوهلهم لدخول الجامعات . ومن ثم تولى المناصب الحساسة في مجالات السياسة والاقتصاد والصناعة والجيش . ما يكرس حلقة التمايز الاجتماعى. (٣) بين هذه الطبقة وبين سواد الشعب نوى التعليم الأولى الهزيل .

ويؤكد ذلك الرأى " السيد محمد يوسف " إذ يرى أن الاستثمار بتشجيعه

(١) سعيد اسماعيل على : الاتجاه الليبرالى فى الفكر التربوى عند أحمد لطفى السيد ، الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس ، المجلد العاشر ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٩ .

(٢) حافظ فرج أحمد : التعليم فى الريف المصرى ، دراسة تطبيقية على قرية مصرية ، التربية المعاصرة ، المجلد ٦٥ ، يوليو ١٩٨٦ ، فبراير ١٩٨٧ ، رابطة التربية الحديثة ، القاهرة ، ص ١٢٧-١٢٨ .

(٣) J.Rac; "The Public School Revolution, Faber & Faber, London-Boston, 1981, PP. 27-28.

ثانية التعليم فى المجتمع ، إنما كان يهدف إلى إيجاد نوع من التمييز الطبقي بين المواطنين ، وتعميق الفروق بين الطبقتين فى الثقافة والميول والاتجاهات ، ليجعل من أحدها حاكمة ، والسبل أمامها إلى الصدارة مفتحة ، ومن الثانية محكومة تلتزم برزقها فى الفلاحة ، أو الصناعات اليدوية ، أو حقير الأعمال ، بذلك فهو يعمل على إعداد طبقة تساعده ، وتوصل بقاؤه ، ويختبى وراءها لارغام الناس على استساغة وضعه ، ولم يكن يجعل التمييز بين المواطنين فى التعليم قائما على استعداد فطرى ، أو نضج فكرى ، وإنما كان على معيار الفقر والغنى ، الأمر الذى أدى إلى وجود أغراض تعليمية مستهدفة للفقراء وأخرى للأغنياء .^(١) ولم تكن البلد لتستطيع التخلص من إرث الماضى بسهولة نتيجة لما ألحقه من تشوهات فى البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتعليمية للمجتمع ، فضلا عما تركه خلفه من قوى محلية نبتت وترعرعت فى ظل الاستعمار ، وتبنت فلسفته لأنها تتناسب مع مصالحها ، وتتلاقى فى نقطة مشتركة مع أهدافها .

وإذا كان الكثيرين قد توهموا أنه بمجرد الحصول على الاستقلال ، فإن ذلك يتيح للقوى الوطنية أن تسعى لتوفير فرص التعليم لكل أبناء الشعب ، إلا أن التاريخ قد أثبت العكس ، فالاستعمار الأجنبى لم يحمل عصاه ويرحل ، إلا وقد اطمأن إلى أن أفكاره سيتميدها - بقصد أو بدونه - أعوان أعدهم لذلك ، إذ وجدت قوى أخرى دأبت على محاربة التعليم ، وعلت الأصوات فى المجالس النيابية ، تنادى بوضع حدود لتعليم العامة ، والابقاء على المصروفات ، وهذا أمر لا يثير العجب ، فالواقع الطبقيّة التى يخرج منها النواب غالبا ما تقتصر على الاقطاعيين ، وكبار التجار ، والرأسماليين ، والمنتفعين .^(٢) الذين تتعارض مصالحهم مع تعميم التعليم ، وتحقيق المجانية ، واناة مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لكافة أبناء الشعب ، ولهذا يرون أن المصلحة تقتضى عدم الاهتمام بتعليم العامة ، حفاظا على الطبقة التى خلفها الاستعمار ، والتى تعمل على دوام مداهم بين يتولون العمل فى ضياعهم وخدمتهم .

(١) سيد محمد يوسف (مقدمة) فى جرجس سلامة : مرجع سابق ، ص (١) .

(٢) زينب حسن حسن : المجانية فى مصر هل وصلت أم خربت ديمقراطية التعليم ، الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس ، المجلد العاشر ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

وهكذا كانت سياسة الاحتلال ، وسياسة الطبقة الأرستقراطية التي أفرزها نظام الحكم الاستعماري - خلال مراحل الاستقلال المشروط ١٩٢٣ وما قبلها - تعبر عن اتجاه واحد يستهدف تكريس الطبقة في المجتمع المصري ، في وقت تحكم فيه الاستعمار والاقطاع والرأسمالية ، وتمتعت هذه الطبقة بكل الامتيازات ، واعتبرت أن العلم والتعليم حق لأبنائها وحدهم ، ولا يجوز لأبناء العامة مشاركتهم فيه .

وإذا كانت هذه القوى قد عملت على تضيق فرص التعليم ، ومحاربة المجانية ، والتركيز على ازدواجية التعليمية ، فلأنها تتبع سياسة تتفق ومآلها ، فحرمان الشعب من التعليم يؤدي إلى استثناء الأمية والجهل ، ويعمل على طمس الشخصيات الوطنية ، التي تتمكن من إثارة الناس لمقاومة الاستغلال ، فضلا عن أن ذلك يضمن ألا تتسلل الطبقات الفقيرة والوسطى إلى التعليم ، الذي قد يوصلها إلى مراكز السلطة ، وقيادة الرأي في المجتمع . (١) هذه الظروف التي عاشتها مصر أورثتها ميراثا ثقيلا من الأمية ، إذ بلغت نسبتها ٩١٫٧٪ عام ١٨٨٢م ، انخفضت قليلا إلى ٩١٫٣٪ عام ١٩١٧م . (٢)

وفي الربع الثاني من القرن العشرين (١٩٢٥-١٩٥٣) ، ظهرت اهتمامات استهدفت بعث الحياة التعليمية من سباتها ، وتجديدها ، وصدرت التشريعات والقوانين ، وفي مقدمتها مشروع التعليم الإلزامي عام ١٩٢٥م ، وتتابعت الجهود للقضاء على ازدواجية التعليم ، وفي عام ١٩٥٠م عمت المجانية التعليم قبل الجامعي ، وظهرت جهود شعبية إلى جانب جهود الحكومة ، اهتمت بافتتاح المدارس ، مثل مدارس الجمعيات الخيرية ، ومدارس الحزب الوطني الصاحبة للتلاميذ ، والسائية للعمال ، وبمدراس المدارس الفنية ، وتوالى افتتاح الأقسام الليلية لكافة الأمية . (٣)

(١) جرجس سلامة : مرجع سابق ، ص ١١٢-١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ .

(٣) سهام محمود المراقى : تاريخ وتطور اتجاهات الفكر التربوي ، مكتبة المعارف الحديثة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٢٣٣ .

وهنا يمكن القول أن زيادة الحماس الذى صاحب هيمنة المصريين على شئون التعليم قد أثر على نوع التعليم ومستواه ، فاقصر الأمر على مجرد الاندفاع فى فتح المدارس ، دون توافر الاستعدادات اللازمة ، واحتشد التلاميذ فى الفصول احتشادا أضمر بالتعليم والحياة المدرسية ، وأصبح التعليم الإلزامى بصورته التى وضع عليها مقتصرًا على تحقيق النفرى المحدود ، الذى قصد به محو الأمية فحسب ، حتى أن الكثير من التلاميذ يرتدون مرة أخرى الى الأمية ، لضعف المستوى الذى تلقوه من جهة ، ولعدم إتاحة هذا النظام التعليمى الفرصة لمواصلة التعليم من جهة أخرى. (١)

ويضيف " سعيد اسماعيل على " أن هيمنة وزارة المعارف وسيطرتها على التعليم، عن طريق السيطرة المركزية ، لى على إدارة المدارس فحسب ، ولكن أيضا فى تصميم المناهج ، واختيار طرق التدريس ، وإصدار القوانين والتشريعات المنظمة للتعليم ، دون إشراك قاعدة شعبية تتلى بدلوها ، وتعكس مصالح الشعب فى رأيها ، الذى لا يبد وأن تجهله حكومة تحركها يد أجنبية ، وتفرض فلسفتها على التعليم ، وتعمل على غرسها فى تربة المجتمع ، دونما تكيف وتحوير وتغيير ، فتعرض التعليم فى مصر إلى الكثير من أوجه الخطأ والانحراف فى التطبيق وأماها بأضرار مازال صداها مؤثرا حتى الآن. (٢)

وبمجرد الحصول على الاستقلال التام وجلاء آخر جندي أجنبى ، شرعت الحكومة الوطنية فى الاهتمام بالتعليم فى شتى صوره . بقصد منح المواطن الحق الذى سلبه الاستعمار عبر تاريخ طويل ، غير أن هذا التوسع لم يحقق الأمل فى تعليم كل أبناء الوطن ، لصعوبات وتحديات كثيرة واجهته ، مثل معوقات الإلزام ، ومشكلات نقص الاستيعاب ، والتسرب ، ما نتج عنه وجود الكثير من الأفراد المستهدفين بالتعليم ، خارج نطاق النظام التعليمى .

فلقد نرى المستور فى مصر - فيما سى - على أن التعليم حق تكفله الدولة ، وهو الزامى فى المرحلة الابتدائية ، وتعمل الدولة على مد الإلزام إلى مراحل أخرى ،

(١) جرجس سلامة : مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) سعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٥٧٠ ، ٤٤٩ .

وتكفل المجانية في مؤسساتها التعليمية في مراحل التعليم المختلفة . (١)

ويرى " سعيد اسماعيل على " أن التعليم قد أخذ في الانتشار ، وتعدى فسى مفهومه من أنه مجرد حق لابد من الحصول عليه ، إلى أنه أصبح واجبا وطنيا من الضروري الالتزام به ، ولما كان الطلب الاجتماعى على التعليم يتزايد ، والامكانات الطموحة لمواكبة هذه الأعداد المتزايدة غير متوافرة ، والامكانات الموجودة لا تتواءم مع هذا التوسع ، فطبيعى أن تنكس الفصول بالتلاميذ ، وبدأت العملية التعليمية تعرف طريق التدهور والانحدار . (٢)

كما أن النمو السريع فى معدلات السكان قد صاحبه خلل فى التركيب العمرى للسكان ، نتيجة تزايد أعداد الصغار ، وبالتالي حدث ضغط ملحوظ على سائر الخدمات فى المجتمع ، ومنها خدمات التعليم ، وإزاء التدفق المستمر فى أعداد الصغار ، عجزت الدولة عن تدبير الموازنات المالية ، وتوفير الامكانات اللازمة لاستيعاب كافة الملزمين ، (٣) ولا يزال عجز الدولة فى استيعاب الملزمين واضحا حتى وقتنا هذا .

فلاحصاءات تشير إلى أن هناك فجوة كبيرة بين أعداد الملزمين ، وما تستهدفهم الدولة فى خطتها ، إذ أن نسبة ما استهدفت الدولة استيعابهم فى العام الدراسى ١٩٨٥/٨٤ لم تزد عن (٩٣٪) ، معنى هذا أن هناك ٧٪ فرق بين المستهدف والواقع ، كما أن عدد الأطفال (٦-١٢) سنة فى نفس العام الدراسى قد بلغ (٧٠٤١٨٥) طفلا ، لم يقيد منهم سوى (٥٦٨٠٩٨) تلميذا بنسبة (٨٠٦٧٪) من جلة الملزمين ، (٤) وعجز التعليم بامكاناته عن استيعاب (١٢٦٠٨٧) طفلا بنسبة تبلغ (١٩٣١٪) من جلة الملزمين يضافون إلى رصيد الأمية .

- (١) ورقة عمل حول تطوير وتحديث التعليم فى مصر : الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس ، المجلد الثامن ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .
- (٢) سعيد اسماعيل على : انهم يخربون التعليم ، كتاب الأهالى ، العدد التاسع ، مطبعة اخوان موراقتلى ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٤٦ ، ٨٠ .
- (٣) حليم جريس : نحو رؤية مستقبلية لتحديث التعليم ، مؤتمر نمو مشروع حضارى تربوى لمصر ، ج ٢ ، رابطة التربية الحديثة ، القاهرة ، ١١-١٣ ابريل ، ١٩٨٧ ، ص ٤٧١ .
- (٤) وزارقاتربوالتعليم : السياسة التعليمية فى مصر ، طبعة الوزارة ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٣ .

ولما كان تخطيط الدولة لاستيعاب الملزمين مازال قاصرا أمام التزايد المستمر في أعداد الصغار ، ولما كانت المدارس التي تقام ، بغرض ملاحقة هذا التزايد المستمر ، لم تواكب من حيث أعدادها ، ونوعياتها ، وتجهيزها التزايد في الطلب عليها ، من هنا ظهر نظام الفترتين الدراسيتين والفترات الثلاث ، فضلا عن تكس الفصول بالتلاميذ ما أضر بالعملية التعليمية .

كما أن المدرسة في مصر - بوضعها الحالي - والتي اقتدت بالغرب ، قد حافظت على الغايات التي سعى إليها مؤسوها ، فبقيت على ما هي عليه ، أداة لرفع مستوى ثقافة غربية ، دونما اعتبار للتربة الاجتماعية ، والمناخ الثقافي للمجتمع ، متحيزة بشكل أساسي للنخبة ، ففكت المجتمع إلى جماعات مختلفة ، وكرست الهوة بمحتواها بين الفلاحين في الريف ، وبين الحضريين .^(١) مما يجعل الكثيرين - خصوصا في الريف - يتسربون منها لعدم ارتباط أهدافها بأهداف المجتمع .

ولهذا ، فإن المستفيدين من التعليم في الحضر أكثر منهم في الريف والبادية وبالتالي فإن أعداد الأميين في الريف والبادية - خصوصا المناطق التقليدية - أكثر بكثير من أعدادهم في الحضر ، ويتضح اقبال المرأة على التعليم في الحضر عن البادية والريف ، وبالتالي ، فإن أعداد العاملات في أعمال حكومية تزيد بين الحضريات عن الريفيات والبدويات ، لزيادة التعليم بينهن .^(٢) وهذا يعتبر مؤشرا على أن التعليم وامكاناته يحمل خصائص تمايزية ، تعمق وتوسع من هوة التمايزات الاجتماعية القائمة في المجتمع ، فالتعليم بالكم والكيف ذو طابع حضري ، فضاهجه وفلسفته وامكاناته ، وإن كانت بعيدة إلى حد ما عن ظروف المجتمع ، إلا أنها أكثر اقترابا من الحضر وطبيعته وظروفه ، وبعيدة إلى حد ما عن متطلبات وظروف الريف والبادية ، مما يؤكد على عدم تكافؤ الفرص التعليمية .

(١) لفيف من خبراء اليونسكو ، التنمية الثقافية ، تجارب اقليمية ، ط ١ ، ترجمة سليم مكيور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٥٢ .

(٢) N.Nelson; "Why Has Development neglected Rural Women", Vol. I, Pergamen Press, Oxford, 1976, PP. 5-11.

والتي اجتمعت في الغالب الشباب المتعطل على الرغم من قدرته على العمل والانتاج ، ولم تعد الطبقة المتوسطة اقتصاديا تتكون من المتعلمين والموظفين ، إذ تغير الوضع بالنسبة لجزء كبير من الفئة الاولى فتحرك لأسفل ، بينما ارتفعت الشريحة المتمثلة في أثرياء الانفتاح من الطفيليين والمستغلين والمضاربين ، فضلا عن الحرفيين وأصحاب المهن الحرة ، لتحتل مكانا أعلى في درجات السلم الاجتماعي ، وقد أثر ذلك بغير شك على التعليم بشكل مباشر وغير مباشر .

وينكر " بوب أليسون " Bob Allison أن تأثير الانفتاح الاقتصادي السريع على التركيب الاجتماعي للمجتمع المصري ، وما صاحبه من اختلال البناء الطبقي ، واختلال قنوات الحراك الاجتماعي قد ترتب عليه إختلال في الهيكل القيمي للمجتمع ، وأصبح الكثيرون ينظرون للتعليم على أنه لا يوصل لشيء ذي قيمة ، بعدما كان ينظر إلى التفوق العلمي على أنه السبيل للتفوق الاجتماعي .^(١) وهو ما يشكل اتجاهات الناس نحو التعليم ، ومن ثم مدى الاقتناع به ، والاستفادة منه .

كما أن يسر الحال لحائزي الأموال قد أدى إلى انتشار المدارس الخاصة ، ومدارس اللغات ، من الحضانة إلى الثانوية ، بصروفاتها الخيالية ، ونوعياتها التي تقتصر غالبا على هذه الطائفة من المحظوظين المورسين اقتصاديا ، وتقدم لتلاميذها نوعية متميزة من التعليم ، لتوافر الامكانات المادية ، والوسائل المتطورة المعينة ، واجتنابها للكفايات من المعلمين تحت ضغط المادة ، في حين يتردى التعليم الرسمي بشكل ملموس ، فأمام الأعداد المتزايدة وقلة الامكانات والتجهيزات والكوادر المعدة للتعليم ، وضآلة الميزانية ، وتخفيض معدلات الانفاق على التعليم ، تكون النتيجة الكم المتزايد على حساب النوع ومستوى الخدمة التعليمية .

وقد ظهر التعليم الحكومي بشكل يؤكد فقدان الاتزان ، ظفوية التعليم ، وافتقار المعلومات التي يكسبها التلاميذ في ممارسنا الملاحية لفهم وتفسير وتغيير واقع الحياة

(١) Bob Allison; "Social and Economic Change in Egypt (1970-1980)", 2nd Ed., The Free Press, London, 1983, P. 77.

فى المجتمع ، إذ يخرج الفرد غالباً من التعليم - أياً ما كانت المرحلة التى يتوقف عندها - ورصيده المعرفى الذى خرج به لا يسعفه بشئ، ذى قيمة لممارسة مسؤوليته فى الحياة ، ويتعين عليه قبل ممارسة أى عمل أن يبدأ فى تعلم واكتساب المعرفة والخبرات والمهارات اللازمة لأدائه بالمستوى المطلوب . (١)

كما اتسمت المجانية القائمة بالشكلية ، إذ أصبح على الآباء فى ظل هذه الظروف المعيشية تحمل أعباء مالية تفوق مرات عديدة المصروفات المدرسية التى كانت تدفع قبل المجانية ، فعلاوة على ضرورة توفير المستلزمات من ملابس وأدوات وغيرها من بنود أصبحت تلتهم نصيباً كبيراً من دخول الأسر الفقيرة ، أصبح يتعين أيضاً لتعميى تزدى الخدمات التعليمية فى المدارس ، توفير دروس خصوصية ، أمت ضرورة لمواصلة التعليم . (٢) مما أدى إلى عدم قدرة الكثيرين وبالتالى عجزهم عن مواصلة التعليم .

وإذا كانت نسب التسرب من التعليم منذ أوائل السبعينات ، كانت فى طريقها للانخفاض التدريجى ، إلا أنها قد أخذت اتجاهات متعديدا مرة أخرى بدءاً من إعلان سياسة الانفتاح فى عام ١٩٧٤م ، وعلى الرغم من أن البعض يشيع خطأ أن ارتفاع نسب التسرب فى هذا الوقت بالذات ، إنما يرجع إلى أن الرواج الاقتصادى ، وزيادة فرص العمل ، قد أغرى البعض بترك المدرسة سعياً وراء الربح ، إلا أن هذا ينافى الحقيقة المعاشة ، فالأجيال الجديدة بدأت تشاهد بعينها تراجع قيم التعليم خلال تلك السنوات أمام قيم المادة ، وعجز سوق العمل عن استيعاب المتخرجين من التعليم بمختلف مستوياته ، مما أدى إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو التعليم ، لانعدام فائدته المادية بمقياس العمر ، ولست هذه الأجيال أن هناك طرقاً للكسب السريع ، لا تحتاج إلى تعليم ولا سحر اللامالى ، فالمضاربة ، والعمولات تحت مسمى الاتجار ، والرشوة، والاحتياى ، والاختلاس ، وغير ذلك من قيم واتجاهات لا أخلاقية هى أقصر وأضمن الطرق

(١) مجالفتح تركى : مرجع سابق ، ص ٤٠٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٨-٤٠٩ .

للثراء ، وبالتالي أراد البعض اختصار الطريق في غيبة الوعي . (١)

كما أن الثراء والرواج العالى الذى شهدته الفئات الطفيلية ، كان لابد وأن يأتى على حساب الفقراء ، خاصة وأن المكاسب الجديدة هذه لم تكن نتاج عمل وانتاج ومع زيادة التضخم والانباء المعيشية ، يشعر الفقراء بالرغبة فى انخراط الأولاد فى سوق العمل مبكرا ، لعدم قدرتهم على الانتظار طويلا ، إلى أن ينتهوا حتى من أولى مراحل التعليم ، خصوصا وأنهم لن يصلوا إلى شئ يمثل قيمة بمعايير ذلك العهد ، ولهذا ارتفعت معدلات التسرب من التعليم ، حيث بلغت نسبة التسرب فى العمام الدراسى ١٩٨٢/٨١ (٦٢٪) من جطة التلاميذ فى المرحلة الابتدائية البالغ عددهم (٤١٤٨٩٤٧٤) تلميذا ، معنى ذلك أن جطة المشربين قد وصلت فى ذلك العام إلى (٢٩٤٤٠٢) تلميذا ، أى مايزيد على ربع مليون تلميذ فى العام الواحد ، وتضيق على الدولة الآلاف من الجنيهات ، فى وقت ينوء كاهلها بديون ثقيلة ، خاصة وأن التعليم الابتدائى الحكومى يتدنى إلى الدرجة التى تجعل - غالبا - من يتسرب منه يتردد إلى الأمية مرة أخرى (٢)

وهكذا أصبحت الأمية فى مصر هذا لا ينحصر ، وتضافرت هذه العوامل الحديثة على استمرار ما تبقى منها إرثا من المجهود المألوفة ، فالاحصاءات تشير إلى أن نسبة الأمية بلغت عام ١٩٦٠م (٢٠٪) من جطة السكان ١٠ سنوات فأكثر ، فى حين بلغت فى تعداد ١٩٧٦م (٥٧٢٪) وبلغت فى تعداد ١٩٨٦م (٤٩٩٪) من جطة السكان ١٠ سنوات فأكثر (٣) وهذا الانخفاض فى النسبة لايشير إلى انحسار الأمية ، إذ أن الأعداد المطلقة للأميين فى تزايد مستمر ، ويرجع إنخفاض النسب إلى استمرار الزيادة السكانية من تعداد لآخر ، وتختلف نسب الأميين بين محافظات الجمهورية ، وبين الريف والحضر ، وبين الذكور والإناث داخل المحافظة الواحدة ، كما يتضح من احصاءات الجدول التالى :

(١) سعيد اسماعيل على : محنة التعليم فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٣) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : التعداد العام للسكان والاسكان والمنشآت ١٩٨٦ النتائج الأولية ، ط ٢ ، القاهرة ، ابريل ١٩٨٧م ، ص ١٦ .

جدول (١) يوضح توزيع نسب الاميين حسب النوع (ذكر / انثى) في الريف والحضر في محافظات الجمهورية (الافراد ١٠ سنوات فأكثر) (١)

المحافظة	ريف / حضر	نسب الامة (%)			المحافظة	ريف / حضر	نسب الامة (%)			المحافظة	ريف / حضر	نسب الامة (%)		
		د	ا	مج			د	ا	مج			د	ا	مج
القاهرة الاسكندرية بورسعيد السويس	?	٢٢٣	٢٩٢	٢١٠	الاسكندرية	حضر / ريف / جلة	٢٢٠	٢٨٣	٢٠٣	الاسكندرية	حضر / ريف / جلة	٢٢٠	٢٨٣	٢٠٣
		٢٥٦	٢٩٢	٢١٠			٢٥٧	٢٨٣	٢٠٣			٢٥٧	٢٨٣	٢٠٣
		٢٤٧	٢٩١	٢٤٦			٢٤٧	٢٩١	٢٤٦			٢٤٧	٢٩١	٢٤٦
		٢٤٩	٤٠٠	٢١٩			٢٤٩	٤٠٠	٢١٩			٢٤٩	٤٠٠	٢١٩
دمياط	حضر / ريف / جلة	٢٢٠	٤٠٠	٢٥٨	الجيزة	حضر / ريف / جلة	٢٨٢	٤٨٢	٢٤٩	الجيزة	حضر / ريف / جلة	٢٨٢	٤٨٢	٢٤٩
		٤٠٨	٥٤٣	٤٧٢			٤٣٣	٧٥٠	٥٩٠			٤٣٣	٧٥٠	٥٩٠
		٢٨٨	٥٠٠	٤٤٣			٢٢٧	٥٦١	٤٤٣			٢٢٧	٥٦١	٤٤٣
		٢٢٠	٤٠٠	٢٥٨			٢٢٠	٤٠٠	٢٥٨			٢٢٠	٤٠٠	٢٥٨
المنيا	حضر / ريف / جلة	٢٨٧	٤٣٩	٢٦١	بنى سويف	حضر / ريف / جلة	٢٤٠	٥٥٧	٤٤٩	بنى سويف	حضر / ريف / جلة	٢٤٠	٥٥٧	٤٤٩
		٤٠٤	٦٧٠	٥٣٣			٥٣٧	٨٦٤	٦٩١			٥٣٧	٨٦٤	٦٩١
		٢٧٢	٦٠٨	٤٨٧			٤٨١	٧٨٣	٦٢١			٤٨١	٧٨٣	٦٢١
		٢٨٧	٤٣٩	٢٦١			٢٨٧	٤٣٩	٢٦١			٢٨٧	٤٣٩	٢٦١
الشرقية	حضر / ريف / جلة	٢٥٠	٤٤٧	٢٤٩	الفيوم	حضر / ريف / جلة	٢٨٨	٥٥٧	٤٦٨	الفيوم	حضر / ريف / جلة	٢٨٨	٥٥٧	٤٦٨
		٤٤٦	٦٩٦	٥٥٨			٦٠٨	٨٦٤	٧٢١			٦٠٨	٨٦٤	٧٢١
		٤٠٢	٦٢٣	٥١٠			٥٥٠	٧٩٠	٦٦٧			٥٥٠	٧٩٠	٦٦٧
		٢٥٠	٤٤٧	٢٤٩			٢٥٠	٤٤٧	٢٤٩			٢٥٠	٤٤٧	٢٤٩
القليوبية	حضر / ريف / جلة	٢٧٩	٤٩٢	٢٨٣	المنيا	حضر / ريف / جلة	٢٨٨	٥٥٧	٤٦٨	المنيا	حضر / ريف / جلة	٢٨٨	٥٥٧	٤٦٨
		٢٨١	٦٨١	٥٢١			٥٨٢	٨٦٤	٧٢١			٥٨٢	٨٦٤	٧٢١
		٢٢٧	٦٠٠	٤٦١			٥١٩	٧٩٢	٦٥٠			٥١٩	٧٩٢	٦٥٠
		٢٧٩	٤٩٢	٢٨٣			٢٧٩	٤٩٢	٢٨٣			٢٧٩	٤٩٢	٢٨٣
كفر الشيخ	حضر / ريف / جلة	٢٤٩	٥٤٢	٤٤٩	المنيا	حضر / ريف / جلة	٢٢٢	٥٥٧	٤٦٨	المنيا	حضر / ريف / جلة	٢٢٢	٥٥٧	٤٦٨
		٥٢١	٧٨٨	٦٢١			٥٥٨	٨٦٤	٧٢١			٥٥٨	٨٦٤	٧٢١
		٤٨١	٧٢٣	٦٠٤			٤٨٩	٧٩٠	٦٦٧			٤٨٩	٧٩٠	٦٦٧
		٢٤٩	٥٤٢	٤٤٩			٢٤٩	٥٤٢	٤٤٩			٢٤٩	٥٤٢	٤٤٩
الغربية	حضر / ريف / جلة	٢٢١	٤٢٣	٢٢٦	سوهاج	حضر / ريف / جلة	٢٥٨	٥٥٧	٤٥٢	سوهاج	حضر / ريف / جلة	٢٥٨	٥٥٧	٤٥٢
		٢٩٢	٧٠٧	٥٤٧			٥٥٨	٨٦٤	٧٢١			٥٥٨	٨٦٤	٧٢١
		٢٢٩	٦١٢	٤٧٢			٥٠٧	٧٩٠	٦٦٧			٥٠٧	٧٩٠	٦٦٧
		٢٢١	٤٢٣	٢٢٦			٢٢١	٤٢٣	٢٢٦			٢٢١	٤٢٣	٢٢٦
المنوفية	حضر / ريف / جلة	٢٦٦	٤٧١	٢٦١	قنا	حضر / ريف / جلة	٢١٦	٥٧٩	٤٤٢	قنا	حضر / ريف / جلة	٢١٦	٥٧٩	٤٤٢
		٢٤٦	٦٨٣	٥٠٩			٥٢٨	٨٥١	٦٩٢			٥٢٨	٨٥١	٦٩٢
		٢٢٠	٦٢٣	٤٧٩			٤٨٢	٧٨٣	٦٢١			٤٨٢	٧٨٣	٦٢١
		٢٦٦	٤٧١	٢٦١			٢٦٦	٤٧١	٢٦١			٢٦٦	٤٧١	٢٦١
الحيرة	حضر / ريف / جلة	٢٠٢	٥٢٧	٤١٢	قنا	حضر / ريف / جلة	٢٠٢	٥٢٧	٤١٢	قنا	حضر / ريف / جلة	٢٠٢	٥٢٧	٤١٢
		٤٧٢	٧٨٣	٦٢١			٤٧٢	٧٨٣	٦٢١			٤٧٢	٧٨٣	٦٢١
		٤٣١	٧٢٣	٥٧٠			٤٣١	٧٢٣	٥٧٠			٤٣١	٧٢٣	٥٧٠
		٢٠٢	٥٢٧	٤١٢			٢٠٢	٥٢٧	٤١٢			٢٠٢	٥٢٧	٤١٢

(١) حسبها الباحث من أعداد الاميين وأعداد السكان (١٠ سنوات فأكثر) الواردة في الجهاز المركزي للتنمية العامة والاحصاء : التعداد العام للسكان والسكنى والنشآت ١٩٨٦ . النتائج الأولية . مرجع سابق . ص ٤٨-٥١